الحضور العسكري لقوّات الحلفاء والمحـــور في جهـــة القصريـــن بين تفاعل الأهالي وردود فعل السلطات الاستعمارية (1942-1943).

فتحي العايدي.

المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية.

« ... *La bataille de* ***Kasserine*** *m'avait donnée de nombreux moments d'anxiété...*»

Alexander (M). **D'El-Almeïn à Tunis et à la Sicile 1942-1943**. Ed.Ch.Levauzelles et C^ie^ 1949, p 104.

مقـــدمـــة :

رغم تركيز البحوث التاريخيّة منذ فترة طويلة على الجهات وذلك في إطار الدراسات المونوغرافيّة، فإنّ الاهتمام بهذا الصّنف من التاريخ لا يزال محتشما خاصّة إذا ما ارتبط ذلك بمرحلة متأخّرة من الحقبة الاستعماريّة، لاسيّما أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث تصبح الوثائق الأرشيفيّة نادرة في ظرف مشحون بالصراعات واختلاف المواقف والتصوّرات. ولعلّ المبحث الذي نودّ الخوض فيه ينخرط في هذا السّياق، إذ تكاد تنعدم الدّراسات حول جهة القصرين خلال الفترة المدروسة (*) نظرا لعدم توفّر الوثائق وهو ما جعل

*) نستثني العمل الذي قام به الباحث عادل لطيفي حول جهة القصرين ويعدّ مرجعا هاما بالنسبة للفترة التي تعنينا. (سيذكر لاحقا)

بعض المؤرّخين يقتصرون في اهتماماتهم على عالم المدينة واعتبار الأرياف مجالات غير فاعلة في التحوّلات التي شهدها المجتمع المحلّي [1].

ولئن حاولنا نسبيا تلافي عائق الوثائق – المذكور– بالاعتماد على بعض المذكّرات خاصة منها التي دوّنها ضباط كلا القطبين المتحاربين، فإنّ هذا الجنس من المصادر يطرح بدوره عديد الصعوبات، خاصة أمام تنويه أصحابها بالانتصارات التي حقّقوها مع البحث في تبرير الهزائم والاقتصار على الجوانب الذاتية دون الاهتمام بمسائل وقضايا تهمّ المجتمع المحلّي، وإن وجدت فهي مجرّد إشارات.

إضافة إلى ذلك فإنّ اللّجوء إلى المصادر الشفويّة – التي هي في النهاية شكل من أشكال المذكرات – يفرض علينا بدوره جملة من المحاذير نظرا إلى ميل أصحابها إلى المبالغة وتضخيم الأحداث...

ومهما يكن من أمرٍ فإن تناول الحضور العسكري لقوى المحور والحلفاء بجهة القصرين يفرض علينا عديد التساؤلات لعلّ أهمّها معرفة العوامل التي جعلت هذه الجهة تجسّم إحدى الأطوار الأساسيّة في الحملة العسكرية على البلاد التونسية (نوفمبر 1942– ماي 1943) ؟ ثم هل تنطبق المقاربة التاريخية التي تقسم المواقف المحلية إلى رأي عام متعاطف وقيادة حذرة على أهالي جهة القصرين أم أنّ لهذه الأخيرة خصوصيّة [2] ؟.

I– جهة القصرين : موقع إستراتيجي ضمن أبعاد المخطّطات العسكريّة لقوات المحور والحلفاء :

لعلّنا لا نبالغ إذا ما اعتبرنا أنّ الحضور العسكري بجهة القصرين قد كان رهانا لكلا المعسكرين المتحاربين، حيث يمكن من خلاله تحقيق أهداف الحملة العسكريّة بالبلاد التونسية [3]. وقد برزت الأهميّة الإستراتيجيّة لهذه

---

1) Voir l'intervention de Nouschi (A), in, **La Guerre en Méditerranée (1939-1945)**, Paris, CNRS, 1971, p 701.

2) المنصر (عدنان)، *حول مسألة تعاطف التّونسيين مع المحور أثناء الحرب العالمية الثانية*، **روافد** عدد 3، 1997، ص، 87.

3) Daillier (GL. P.) ; **Nous Etions alors capitaine à l'Armée d'Afrique. Juin 1940 – mai 1943**. Recueil de témoignages. Nouvelle éd. Latines, Paris 1978 p 129 et p 211.

الجهة منذ بداية تقدّم الحلفاء من الحدود الجزائرية باتجاه السّهول الشرقية وقراري "باري" والجنرال "جوان" إرسال وحداتهما في كلّ من بنزرت وتونس نحو الظهريّة حفاظا على الممرّات الجبليّة التي تؤمّن الاتصال بالجزائر [4].

كذلك الشأن رغبت قوات المحور في السيطرة على المداخل الجبليّة للظهريّة الكبرى التي تشرف على قسنطينة وتبسّة كإحدى أهم نقاط التّموين للحلفاء [5]. والملاحظ أنّ أهميّة منطقة القصرين قد تنامت في الإستراتيجيّة العسكرية لكلا الطرفين مع توجه الحلفاء شرقا لعزل قوات "رومل" عن الجيش الخامس [*]، ومساعي قوات المحور في التّوغّل غربا تكريسا لما اتفق عليه "رومل" و"فون أرنيم" إثر ندوة "غنوش" (تمت بقابس يوم 9 فيفري 1943) [6].

وقد أفضى هذا التضارب إلى معركة دارت بجهة فائض (مدخل جبلي بالظهريّة الصّغرى) يوم 14 فيفري 1943، انتصر خلالها المحور [7] وحاولت وحداته (البانزر 10 و20) السيطـــــرة على سبيطلة وفريانة [8] لمراقبة تحرّكات الجيش الأمريكي الأوّل المتواجد بتبسّة [9]. ومقابل ذلك أجبر الحلفاء

---

4) Blumenson (M) : **La passe de Kasserine**. Ed. Presses de la Cité. Paris, 1968 p 46.

5) Spivak (M); **Les forces françaises dans la lutte contre l'Axe en Afrique**, M.D.N, Etat – Major. V1, Paris, imp. J.E.P, 1942. p 147 et 227.
- Rommel (M) ; **La Guerre sans haine**. Ed. Livre contemporain. 1960, p 353.

*) تكوّن مباشرة بعد الإنزال الذي قامت به قوات المحور (1942/11/9) بمطار العوينة وبنزرت وكان هذا الجيش تحت قيادة "فون أرنيم".

6) Daillier (GL.P.) ; **Nous Etions**... op.cit. p 214.

7) أثناء هذه المعركة تم أسر 50 ضابطا من الحلفاء في جبل لسودة (قرب فائض).
أنظر: Barré (GL) ; **Tunisie 1942-1943** Ed. Berger- Levrault. 1950, p 269.

8) Pellegrin (A) ; **Histoire de la Tunisie**. Ed. Bouslama, 1975, p 278.

9) Cherif (F) ; **La Tunisie dans la seconde guerre mondiale : impacts et attitudes (Av. 1938 – Mai1943)**.Thèse,Univ.ParisIV, 2001(2T);2001,p 393.(non publiée)
أنظر أيضا : Arcy Dawson (J) ; **La campagne de Tunisie**. (trad. D'Albert Frédérik). Ed. Universitaires, Bruxelles, 1945, p 135.

يوم 16 فيفري 1943 على التراجع من سيدي بوزيد وقفصة إلى حدود ممرّ القصرين (*) الذي اكتسى أهميّة بالغة بالنّسبة إلى الجيشين المحاربين [10].

ولمّا كانت السيطرة على هذا الممرّ بالنّسبة للحلفاء ضرورة لتسهيل الاتّصال بين قابس- صفاقس وقسنطينة [11]، فقد فرض ذلك خوض معركة مثلت منعطفا في تاريخ الحملة العسكرية على البلاد التونسية ألا وهي معركة الممرّ الجبلي الشعانبي - سمّامة (1943/02/19). وللحدّ من توسّع هجمات المحور عمل الحلفاء إثر انسحابهم من قرية القصرين على رسم خطّ دفاعي من خلال زرعهم حوالي 3000 من الألغام بينها وبين الممرّ المذكور [12]، كما تركزت وحدة من الجيش الأمريكي فوق جبل سمامة، وفرقة مدرّعة بالقرب من المدخل الجبلي. وكرد فعل قامت قوات المحور المتمركزة بسبيطلة (البانزار 10 وبعض وحدات الجيش الإفريقي) بهجوم مضادّ يوم 19 فيفري 1943. إلاّ أنّ الجيش الأمريكي المرابط فوق جبل سمّامة قد عطّل تقدّم وحدات المحور التي فشلت في الاستحواذ على ممرّ القصرين (أنظر الصورة) [13]. لكن ذلك لم يمنعها من مواصلة الهجوم في نفس اليوم، حيث تمكّنت من محاصرة الحلفاء وأسر العديد من جنودهم [14].

---

*) مضيق جبلي يفصل البلاد التونسيّة عن الجزائر ويعرف بخنقة بولعابة ويمتدّ على طول 1500 م وعرض 800 م.

10) Alexander (M) ; **D'El-Almeïn à Tunis et à la Sicile (1942-1943)**. Ed. Charles – Levauzelles et Cie, 1949, p 100.
Spivak (K) ; **Les forces françaises...** op. cit. p231.

11) Blumenson (M) ; **La passe** .... Op.cit. p 23.

12) لطيفي (عادل)، **جهة القصرين أثناء الحرب العالمية الثانية**. ش.ك.ب. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1992، ص.58.

13) Rommel (M) ; **La Guerre**, op.cit. p 14.

14) Blumenson (M) : **La passe...** op.cit. p 240.

الكتيبة الثانية من الفوج 16 للمشاة المنتمية للجيش الأمريكي (بالقرب من ممر القصرين)

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الهجمات قد وفّرت للمحور الأرضية الملائمة لبلوغ الخطوط الدفاعيّة الخلفيّة للحلفاء، وبعد عدّة معارك دارت يومي 20 و21 فيفري 1943 تمكن الجيش الإفريقي من السيطرة على المضيق الجبلي [15]، الشيء الذي أجبر بعض الوحدات العسكرية للحفاء على الانسحاب نحو سهل فوسانة وجبل حمرة (انظر الخريطة) بعد تكبد خسائر هامة [16].

15) أرشيف المصلحة التاريخية لجيش البر (تكتب لاحقا : أ.م.ت.ج.ب) المحفوظ بالمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية (تكتب لاحقا : م.ع.ت.ح.و)، بكرة S368، ص 124، م 2، و482.

أنظر كذلك : Audet (GL) ; *La défaite de l'Axe en Tunisie*. In, **Revue Historique de L'Armée**, N°2, 1951, p79.

16) إضافة إلى القتلى والجرحى والأسرى تم تدمير حوالي 22 دبابة و30 مدرّعة، كما تم الاستيلاء على حوالي 70 دبابة أمريكيّة. أنظر في هذا الشأن : Rommel (M) ; **La Guerre**... op.cit. - p384.

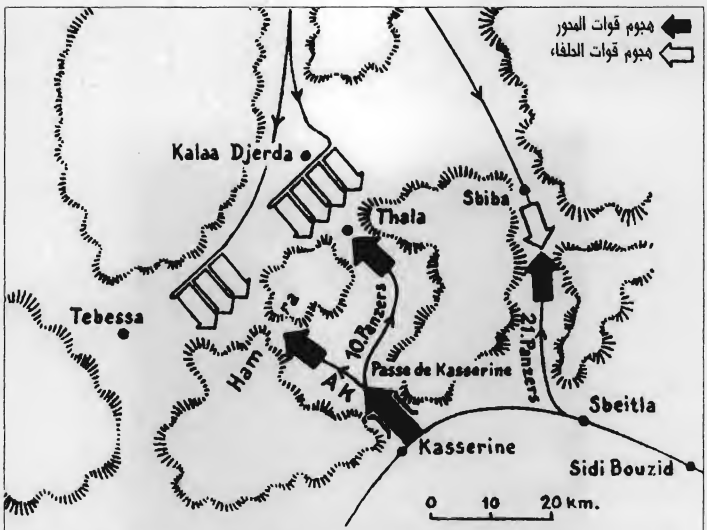

المصدر: Rommel (M), *La guerre sans haine*. Ed. Livre contemporain, 1960, p 382.

وأمام ذلك فقد توسّع الهجوم الألماني باتجاه سهل فوسانة للسيطرة عليه ومنه محاصرة الوحدات الأنقليزية المرابطة بأسفل جبل سمّامة [17]. وتنفيذا لذلك توجّهت وحدات البانزار 10 نحو تبسّة وتحرّك الجيش الإفريقي نحو تالة [18]. وقد أدّى ذلك إلى عديد الاشتباكات في سهل فوسانة (21 فيفري 1943) وتم خلالها "أسر حوالي 700 جندي أنقليزي عند محاولتهم القيام بهجوم مضادّ" [19]، ومنذ هذا التّاريخ تقدمت قوات المحور نحو تالة القرية التي رسم الحلفاء جنوبها خطّا دفاعيا جسّمته الفرقة الأنقليزيّة "Leisester" [20] . بيد أنّ هجومات المحور بين 21 و22 فيفري 1943 والمعارك التي دارت جنوب تالة[21] لم ترغم الحلفاء على تجاوز الخط الدفاعي المذكور وعلى الانسحاب خاصة أمام تزايد ضغط الجيش الأنقليزي الثامن على مستوى خط مارث الشيء الذي

---

17) Vanesebek (H.G) ; **Rommel et l'Afrika Korps**... p 191.

18) أ.م .ت.ج.ب/ ن.م. و483، أنظر أيضا مؤلف جماعي :

L'Armée d'Afrique 1830-1962. Ed. Charles Levauzelles, Paris, 1977, p 347.

19) لطيفي (عادل)، **جهة القصرين**... (مرجع مذكور) ص 61.

20) Barré (GL) ; **Tunisie**... op. cit. p 255. et 279.

21) Alexander (M) ; **D'El-Alameïn à Tunis**... op.cit. p 103.

أجبر "رومل" على إيقاف عملياته وسحب وحداته العسكرية المرابطة بفوسانة إلى حدود مضيق الشعانبي – سمّامة (23 فيفري 1943) وتم توجيه جزء هام من الجيش الإفريقي نحو قابس [22]. ومقابل ذلك أمر ايزنهاور بالقيام بهجوم معاكس وبذلك تراجعت قوات المحور جرّاء القصف الجوي الأمريكي (200 طائرة) واستولى الحلفاء على ممرّ القصرين يوم 25 فيفري 1943 ومنه تمّ الدخول إلى القصرين وفريانة (27 فيفري 1943) وسبيطلة (28 فيفري 1943) [23].

ومهما يكن من أمر فإنّ لأهالي جهة القصرين مواقف تجاه الجيشين المتنافسين واللذين خاضا عدّة معارك في مجال تحرّكاتهم.

II- مدى تفاعل الأهالي مع قوات المحور والحلفاء وردود فعل السلطات الاستعمارية بعد نهاية الحملة.

لا شك أنّ أهالي جهة القصرين قد تفاعلوا بشكل أو بآخر مع العمليات العسكرية التي دارت بين قوات المحور والحلفاء وقد تراوحت مواقفهم بين التّأييد والعداء لهذا الجيش أو ذاك. وحسب ما ذكره "برجو" (Bergeot) فإنّ أهالي القصرين قد استقبلوا الوحدات العسكرية الألمانية مردّدين شعارات مثل "يحيا هتلر يحيا موسليني، تسقط فرنسا". [24]

كذلك في ذات الشأن يؤكّد الجنرال "باري" عداء الأهالي لفرنسا وقد تجلّى ذلك أثناء انسحاب جيوش الحلفاء باتجاه الظهريّة مقابل زحف الجيش الألماني الخامس [25].

وفي نفس السياق يعدّد "رومل" مظاهر تحمّس الأهالي بمختلف الجهات لقدوم المحور واعتبار جيوشه قوات تحرير، واستنتج من وراء ذلك رغبة المحليين في الانعتاق من السيطرة الاستعماريّة [26].

---

22) Pellegrin (A) ; **Histoire** ... op.cit. p 278.
Daillier (GL.) ; **Nous Etions**... op.cit. p 218.

23) أ.م.ت.ج.ب / ن.م. و 485، أنظر كذلك : Chérif (F) ; **La Tunisie**... op.cit. p 394.

24) Bergeot (E) ; **L'Afrika Korps**. Ed. Balland, Paris, 1972, p 340.

25) Barré (GL) ; **Tunisie** ... op. cit p219.

26) Rommel (M) ; **La Guerre** ... op.cit. p 170

بيد أنّ هذا الوصف مهما اختلفت أو تطابقت مصادره لا يحجب عنّا التمييز بين تصوّرات وتمثلات مختلف الفئات الاجتماعية للحضور العسكري لكلّ من المحور والحلفاء، حيث تتحدّد المواقف وتتباين حسب ثقافة كل شريحة وعلاقاتها الاجتماعية ونمط عيشها الذي يفرض عليها معايير ومقاييس لتصوّراتها [27].

ومهما يكن من أمر فإنّ عديد الشهادات تجمع على تعاون بعض الشرائح الاجتماعيّة خاصة منها ذات المستوى التّعليمي والثقافي المحدود مع قوات المحور ويفسر ذلك بعدّة عوامل من بينها نذكر :

– ما رسخته هزيمة فرنسا في جوان 1940 في أذهان الأهالي حول انتصار المحور من جديد خاصة أمام تنوّع عتاده العسكري وتطوّره مقارنة بالحلفاء.

– اعتقاد السكان في زوال الاستعمار الفرنسي خاصة بعد انسحاب الحلفاء من فريانة وتلابت والقصرين [28].

– تأثيرات الدعاية الألمانية أثناء الحملة العسكرية وقبلها على البلاد التونسيّة.

– دافع الانتقام والتشفي من المعمّرين الذين استحوذوا على الأراضي الخصبة. وقد تجلّى عداء أهالي القصرين للفرنسيين من خلال "الوشاية بأماكن اختباء جنود الحلفاء الفارين" واغتنام فرصة اضطراب الأمن لاقتحام منازل المعمّرين والاستيلاء على ممتلكاتهم (اقتناء بعض الأمتعة، والأسلحة، والملابس، والأغطية، والأحذية...) [29]. ولا شك أنّ في ذلك أكثر من معنى. إلاّ أنّ هذه الممارسات لا تعكس في مجملها نقمة على المعمّرين مثلما ذكرنا بل هي أيضا تقف وراءها عوامل اجتماعية واقتصادية تتمثل في حالات الفقر والفاقة التي بلغها المحليون، كما أنّ مساعدة الأهالي للحلفاء أحيانا وللمحور

---

27) المنصر (عدنان)، حول مسألة ... (مرجع مذكور) ص 89.

28) لطيفي (عادل) ***جهة القصرين*** ... ص 71.

29) الميساوي (عبد الجليل)، **القصرين والوسط الغربي، حقائق وأحداث لم تدوّن**. دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفاقس / تونس 2006، ص 61 و 219 –220.

أحيانا أخرى هي ظاهرة أملتها حاجتهم أثناء ظروف الحرب إلى بعض المواد التي أصبحت نادرة، مثال ذلك أنه تم تبادل بعض السلع والمواد مع الأمريكيين نظرا لطول فترة إقامتهم في الجهة [30].

غير أنّ هذه السلوكيات لم تمنع تعاطف البعض الآخر ممن ينتمون إلى نفس هذه الشريحة الاجتماعية مع قوات الحلفاء، إما من خلال المساهمة العسكرية الميدانية التي تكون في أغلب الحالات إجبارية في إطار التجنيد، مثل مشاركة محمّد بن محمّد العبيدي كجندي بالفوج الرابع "للترايور" إلى جانب الجيش الأمريكي والفرنسي [31]. وإذا كان أغلب المجنّدين قد فرّوا بأسلحتهم من الجيش الفرنسي الذي رأى فيه الأهالي وسيلة وأداة للحرمان بل خطرا على حياة أبنائهم، فإنّ الحالة المذكورة لا تعكس في نظرنا ولاء مطلقا لفرنسا وعداء للمحور، بل إنّ انخراط بعض العناصر وبقائهم في الجيش الاستعماري قد حدّدته بعض الامتيازات المسندة للمجندين، حيث أصبح الجيش – رغم المخاطر التي تنجرّ عنه – مؤسسّة توفر لهذه الفئة دخلا ماديا خاصة أمام انسداد موارد العيش وضيق أفق الوظيفة العموميّة أمام العنصر المحلي [32]. إلاّ أنّ ما تجدر ملاحظته أنّ عديد العناصر من أهل الجهة قد اختارت الحياد، بل فضّلت الهروب من مواطنها نتيجة عمليات القصف الجوّي من ناحية وتفاديا للألغام التي تم زرعها في أغلب الحقول لاسيّما في منطقة بولعابة وسهل فوسانة وجنوب تالة، من ناحية ثانية حيث مثّلت خطرا على ما شيتهم أمام تحطيم عديد المنشآت لا سيّما بعض خزانات المياه... [33]

إضافة إلى ذلك نلمس تباينا في المواقف لدى بعض الفئات التي تنتمي إلى ما يسمّى بالأطر التقليدية لسيما القياد من ممثلي السلطة المركزية في الجهات ومنفذي أوامر الإدارة الاستعمارية، مثال ذلك نجد محمّد الدّنقزلي قايد تالة (نوفمبر 1941–جوان 1943) قد أبدى تعلّقه وإخلاصه للماريشال "بيتان" في

---

30) لطيفي (عادل)، **جهة القصرين** ... ص 72.

31) شهادة محمّد هرماسي (فوسانة) أوردها لطيفي (عادل)، **جهة القصرين** ... ص 71.

32) أنظر في هذا المجال أطروحتنا حول : **الحضور العسكري الأجنبي بالبلاد التونسيّة 1911–1943** (دكتوراه) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 2007 ص. 208–214 .

33) لطيفي (عادل)، **جهة القصرين** ... ص.

حين كان مصطفى بن إبراهيم قايد سبيطلة مواليا للحلفاء [34]. ويفسر هذا التباين في المواقف في نظرنا بما تمليه الظروف التاريخية على كل طرف وبموقعه داخل نسيج العلاقات الاجتماعيّة وربما ينخرط ذلك في إطار العلاقة العدائية بين القياد والأهالي والتي عمل الاستعمار الفرنسي على تغذيتها، حيث نجد مواقف قايد سبيطلة متناقضة نسبيا مع منظوريه في حين كانت مواقف قايد تالة مؤيّدة للمحور وهو ما أدى إلى عزله يوم 17 جوان وتعويضه بالشاذلي الصدغياني مقابل ذلك تحصل قايد سبيطلة على وسام تقدير" نظرا لحسن سيرته أثناء الحملة" كما ارتقى محمد المرابط كاهية فريانة إلى رتبة قايد وعين بالهمامة منذ 17 جوان 1943 [35].

ومهما يكن من أمر فإنّ مواقف القياد كغيرها من مواقف بقيّة الفئات لم تكن أغلبها عفويّة، بل هي خاضعة إلى أبعاد وخلفيات رسمت ملامحها التحولات التي شهدتها الظاهرة الاستعمارية ويفسر ذلك برهانات هذه الفئة على قوى جديدة تضمن استمرارية نفوذها ومصالحها التي تخشى زوالها في ظل تغيّر موازين القوى.

وعلى عكس ما تراه بعض الدراسات من أنّ المدينة هي مركز وقطب النشاط الوطني الشيء الذي يجعلها أكثر ملائمة لإنتاج المواقف السياسيّة "الرصينة" [36]، في حين أنّ الأرياف هي مجالات لانتعاش السلوكيات الدينيّة (انتشار الطرق الصوفية...) [37] التي لا تفرز سوى ردود الأفعال العفويّة، فإنّ دراسة خصوصيّة بعض جهات البلاد التونسيّة تنسّب هذه القراءة مثال ذلك لم تكن جهة القصرين بمعزل عمّا كان يسود البلاد من نشاط وطني سياسي وغيره... وقد تفاعلت هذه الجهة منذ فترة مبكرة مع حزب الدستور. وحسب

---

34) .م.ع.ت.ح.و. /أ.و.ش.خ.ف / بكرة 488، م 5، و110 رسالة من المقيم العام الآميرال استيفا إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية (1941/08/13).

35) التاكولي (محمد)، **قياد البلاد التونسية (جوان1943-ماي1944) مسألة الولاء** .شهادة الماجستير، 2004-2005. ص 179-180.

36) Voir l'intervention de Nouschi (A) ; in, **La guerre en Méditerranée (1939-1945).**. CNRS, 1971, pp 700-701.

37) Chaïbi (M.L) ; *Eléments pour l'étude de quelques comportements inter – ethniques en Tunisie durant l'occupation germano-italienne (9 nov .1942- 13 mai 1943)*; in **R.H.M**, N° 81-82, 1996, p. 156.

بعض الشهادات فإنّه تمّ إحصاء حوالي 70 منخرطا في الحزب الدستوري سنة 1921. وقبيل انعقاد مؤتمر قصر هلال فقد تأسست شعبة دستوريّة في قرية تلابت وكانت تتبعها أيضا قرية فريانة.

هذا وتجدر الإشارة إلى الدور الذي لعبه طلبة جامع الزيتونة أصيلي الجهة في نقل الفكرة الدستورية إلى أهاليهم، وفي هذا الإطار يذكر محمّد بن العابد المحفوظي (فوسانة) : *"... حملنا إلى النّاس في عمالة تالة الفكرة الدستورية بوصفنا تلاميذ نتعلّم بتونس، وقد كان لنا ارتباط بالزّعماء الشبان وخاصة المحامي الحبيب بورقيبة..."* كما يذكر الطيب العاشوري أنّ عناصر من حزب الدستور بتونس العاصمة كانوا يكلفونهم بتوزيع المناشير السرية بجهاتهم [38]. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان في قرية القصرين صندوق بريد تصل عن طريقه مكاتيب الحزب وجريدة "العمل". ومما يعكس ارتباط جهة القصرين بدائرة النّشاط الوطني قيام الطاهر صفر بزيارات سرية سنة 1936 إلى كلّ من تلابت وفريانة والقصرين وسبيطلة.

وفي إطار توسيع نشاط الحركة الوطنية ليشمل الأرياف عيّن يونس السّماتي الزّروقي أحد أبناء جهة القصرين في المجلس الملي للحزب الحر الدستوري الجديد (أكتوبر 1937).

وكان من نتائج ذلك أن تفاعلت جهة القصرين مع أحداث أفريل 1938 وبلغ الأمر أن تعاطف بعض المشايخ مع المتظاهرين وهو ما عرّضهم للإيقاف والعزل مثلهم مثل أعضاء الشعب الدستوريّة بكلّ من القصرين وحيدرة وتالة وبولحناش [39].

عموما ما يمكن أن نستنتجه أنّ طبيعة السياسة الاستعمارية التعسفية قد عمّقت في ذهنيات الأهالي الشعور بالظلم وهو ما هيّأ الأرضية لنفاذ الدعاية الألمانية – الإيطالية في الأرياف والمدن على حدّ السّواء منذ أواخر 1938 وقد رسمت هزيمة فرنسا سنة 1940 صورة سلبيّة لها وعجز جيشها عن حماية البلاد التونسيّة، ولعلّ كل هذه العوامل ستساهم في رسم مواقف الأهالي تجاه الحلفاء والمحور والتي نعتبرها نسبيّا امتدادا للفترة السابقة للحملة العسكريّة.

---

38) أورد هذه الشهادات الميساوي (عبد الجليل) **القصرين**... (مرجع مذكور) ص 215.

39) شهادة عمار بن ذهيبة العبدلاوي .، ن.المرجع، ص 214.

ويمكن القول أنّه منذ بداية الأربعينيات لم تعد نسبيّا ردود الأفعال الشعبيّة بالأرياف عفوية ولم تعد الثقافة السياسية محدودة خاصة مع انتشار التعليم من ناحية ونجاح الأحزاب السياسية إلى حد ما في تقريب تصوّرات الفئات الريفيّة للدولة الاستعمارية من تصوّر الفئات الحضريّة [40]. بيد أنّ التحوّلات التي شهدها المجتمع المحلي جعلت بعض فئاته لا تقتنع بأساليب النضال السياسي كآلية تطرحها الأحزاب الوطنية لتحقيق الاستقلال خاصة بعد فشل التعويل على قوات المحور في تحرير البلاد وبدأ الخيار العسكري منذ هذا التاريخ يفرض نفسه لديها.

لكن كيف واجهت السلطات الفرنسيّة هذه المواقف بعد نهاية الحملة ؟

مباشرة بعد نهاية الحملة العسكرية على البلاد التونسيّة توخت السلطات الاستعمارية سياسة ردعيّة تجاه الأهالي وكان الهدف منها إثبات قُدرتها على ضمان مصالح رعاياها والمحافظة على مستعمراتها من ناحية، كما تضمنت هذه السياسة في بعد من أبعادها محاولة إعادة استرجاع هيبة فرنسا من ناحية أخرى [41]. وقد تجلّي هذا المستوى الأخير من خلال تنوع أساليب القمع بغاية التّشفي من بعض العناصر المحليّة المتّهمة بالتعاون والتّعاطف مع قوات المحور.

ولإضفاء الشرعيّة القانونية على انتصاب المحاكم العسكرية لمقاضاة "المتواطئين" مع جيوش المحور ألصقت بهم عديد التّهم مثل سرقة أملاك المعمرين الفرنسيين ومساعدة وحدات المحور أثناء تحركاتها. ودون أن تعتمد السلطات الاستعمارية على تراتيب وضوابط القضاء من حيث ثبوت هذه التّهم وتأكدها فقد اقتصرت على وجود بعض الأمتعة كدليل مادي للزج بأصحابها في السجون وإصدار أحكام الإعدام والأشغال الشاقة، إضافة إلى ذلك فقد استثمرت تواطؤ بعض الوجاهات من ممثلي السلطة محليا لاسيما شيخ القصرين سالم بن أحمد الذي لعب دورا كبيرا في تقديم عديد الأسماء من منظوريه لمحاكمتهم

---

40) المنصر (عدنان) *حول مسألة* ... ص 92-93.

41) العرفاوي (خميس)، **القضاء و السياسة في تونس زمن الاستعمار الفرنسي 1881-1956**. تونس. صامد للنشر 2005 ص 262.

بفعل مساندتهم للمحور واعتدائهم على ممتلكات الجالية الفرنسية [42]. ويبدو أنّ هذا المناخ قد وفر الأرضية الملائمة لبعض الأطراف لتصفية الحسابات والأغراض الثأرية وليس من قبيل الصدفة أن يتحصل مصطفى بن إبراهيم قايد سبيطلة(أوت 1940-أفريل 1945) على وسام تقدير[43] لو لم يجسم مهامه مثل شيخ القصرين على الوجه المطلوب.

وتجسيما لسياسة التنكيل ألزمت السلطات الفرنسيّة عائلاتهم لحضور مشاهد تنفيذ هذا الحكم رميا بالرصاص [44]. ويدخل ذلك في إطار ترويع الأهالي لضمان خضوعهم وخنوعهم للظاهرة الاستعمارية مجدّدا بعد مرحلة الاضطرابات الأمنية التي ساهمت في تدّني صورة فرنسا في المخيال الجمعي للمحليّين. ولم تكتف الإدارة الفرنسيّة بذلك بل فرضت غرامات ماليّة فرديّة وجماعيّة كتعويضات طالب بها بعض المعمّرين المتضررين [45]، مثال ذلك سلّطت على أولاد تليل و كافة سكان قرية فريانة دفع غرامة ماليّة جعلت العديد منهم يلتجئ إلى بيع أملاكه لخلاصها [46]. هذا بالإضافة إلى استشهاد العديد بالسجون والمنافي نتيجة عمليات التعذيب جراء اتهامهم بالتعاون مع المحور (حوالي 14 من جملة 29 تم اعتقالهم) [47]. وقد خلّد بعض الشعراء هذه

---

42) شهادة رابح الكيلاني أوردها لطيفي (عادل)، **جهة القصرين** ... ص 82.

43) .م. ع. ت . ج. و / أ. و. ش .ج . ف بكرة 438، م 5.

44) شهادة محمّد بن حميدة القرمازي (القصرين) أوردها الميساوي (عبد الجليل)، **القصرين** ... ص221.

45) .م. ع. ت. ح .و / بكرة P2، ص 862، م 1، و71 من المراقب المدني بالقصرين إلى مدير الشؤون السياسيّة (1943/12/21).

46) شهادة رابح الكيلاني (مذكورة سابقا).

أنظر كذلك Goldzeiguer (A .R), *L'opinion publique tunisienne (1940-1944)* In Actes du 4è coll.sur **La Tunisie de 1940 à 1945** pub.C.N.U.D.S ; Tunis ; 1989 ; p152.

47) نذكر من بينهم، البشير المكي حقي / الطاهر بن مصطفى حقي / مصطفى بن صالح بن مرزوق / الأمين بن براهيم بن عاشور / محمد بن عمار بن مرزوق / الحفناوي بن محمد منصوري / محمد بن الطيب العلوي / عمر بن الحاج الأخضر /علي بن حامد بن الأسود / محمد كريشان / الطاهربن للصغير برباري / بلقاسم بن صالح / عبدالله بن حامد / محمد بن عبدالله. أنظر **السجل القومي للشهداء**، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة (دون تاريخ النشر ص 47-51 أنظر كذلك، أرشيف الاقامة العامة بكرة R52 صندوق 1583، م1 و542 تقرير موجه من قائد فرقة الجندرمة بتونس الى المدير المساعد للأمن (06-08-1943).

الوقائع لاسيما ما دونه الشاعر الشافعي بن مبارك الميساوي [48] و هو ما ساهم في انعدام أي تصوّر لإمكانية التعايش بين الأهالي والاستعمار.

خـــاتمة

عموما كان للحضور العسكري لقوات الحلفاء والمحور بجهة القصرين عديد الانعكاسات فبفعل المعارك التي دارت بها اضطرب نشاط الحلفاء وتأثر قطاع تربية الماشية وهو ما دفع بالأهالي إلى التنقل نحو جهات مجاورة. ولئن ساهم ذلك في تأزم الوضع الاجتماعي بجهة القصرين فقد أعطى دفعا جديدا لنشاط الحركة الوطنية التي تمكّنت من توسيع قواعدها خاصة بعد تنكّر فرنسا لمجهودات التّونسيين المجندين ضمن جيوشها وانتهاجها سياسة قمعية غايتها التشفي من الأهالي وإعادة بناء صورة فرنسا.

وتجدر الإشارة إلى أن تنوع أساليب القمع والرّدع قد ساهمت بشكل غير مباشر في تجذّر العمل الوطني وقد شجع الأهالي ما تركته الجيوش المتحاربة من ذخيرة عسكرية هامة على التمرّد والالتحاق بالجبال لتكوين النواتات الأولى لحركة الفلاقة التي جمعت عديد القبائل والعروش.

---

48) إنـــتِ يـــا فـــرنســـا مقتينـــا – نهـــبـــت و لا خليـــت فينـــــا
إن شاء الله ربّـــي يتلفت لينـــا – و نخلّص فيك جميـــع الدّيـــن
أن شاء الله ربّـــي منـــا يتنغـــر – بعيـــن الرّحمـــة لينـــا ينظـــر
كـــل مـــا عمـــلت فينـــا شـــر – نكـــون منـــك خـــالصـــيـــن
أورد هذه القصيدة الميساوي (عبد الجليل)، **القصرين** ... ص 223.